الفصل الخامس

مداخل الإصلاح الثقافي

إصلاح نظام الثقافة
بين الممكن والمتعذر

نظام الثقافة من أشد الأنظمة تركيبا وتعقيدا ، ومن ثم فهو من أشد الأنظمة ممانعة واستعصاء على التغيير والإصلاح .

تتغير الأوضاع السياسية والاقتصادية وتسير تغيراتها بسرعة وعنف أحيانا ، لكن نظام الثقافة لا يساير في كثير من الأحيان تلك التغيرات .

حتى النظرية الماركسية التي سعت إلى فرض التفسير المادي التاريخي على الثقافة والقيم ، وجعلت البنية التحتية أي أسلوب الإنتاج محددا لنمط الإنتاج ، ومن ثم محددا للبنية الفوقية أي لنظام الفكر ، لم تجد بدا من الاعتراف بالاستقلال النسبي للفكر والثقافة ، وللمنتوجات الرمزية عن البنية التحتية .

وكارل ماركس نفسه لم يجد بدا من التأكيد بأن النظرية يمكن أن تتحول إلى «قوة ثورية» حين تعتنقها الجماهير ـ في اعتراف واضح بقوة الفكر وأثره على الواقع ـ رغم تشنيعه على أستاذه هيجل حين وصف منطقه بأنه منطق مقلوب كان يمشي على رأسه ، لأنه أي هيجل قد أقر بأسبقية نظام العقل والفكر على نظام الواقع والطبيعة .

لكن الممارسة الماركسية اللينينية قد ارتكبت أكبر الحماقات التي عرفها تاريخ البشرية حين حاولت القفز على حقيقة الاستقلالية النسبية لنظام الفكر والثقافة ، وسعت إلى فرض الفلسفة الماركسية وقيمها المادية بقوة الدولة ، فارتكب ستالين أكبر الحماقات التاريخية بسعيه إلى تغيير ثقافات شعوب

بكاملها ، وارتكبت الثورة الصينية أكبر أنواع القمع باسم الثورة الثقافية .

والواقع أنه إذا كان هناك شيء يتأبى على مفهوم الثورة ويستعصي عليها ، فهو مفهوم الثقافة ، فمع هذه الحقيقة ـ أي استقلالية الثقافة وطابعها المعقد ـ يمكن أن نتساءل:

هل وجدت هناك ثورة في التاريخ؟ وهل يستحق مفهوم الثورة أن يكون من بين مصطلحات اللغة؟ والواقع أن الثائر الحقيقي على كل الانقلابات الفوقية والتغييرات السلطوية هو الثقافة نفسها؟

نتأمل هذا في دعوات الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه باعتبار أنهم جاؤوا بأكبر الدعوات التحررية التي قلبت أوضاع المجتمعات بشكل كبير ، بما في ذلك دعوة محمد ﷺ ، فلا يمكن أن نتحدث عن «ثورة» بالمعنى الجذري لمفهوم «الثورة» أي عن انقلاب اجتماعي أو سياسي قلب الأوضاع رأسا على عقب في صدر الإسلام .

ففتح مكة الذي وصفه القرآن بـ«الفتح المبين» لم يكن استئصالا لشأفة المعارضين حيث لم يسفك دماء ، ولم ينتقم من خصومه ، بل جعل لأعتاهم خصومة وهو أبو سفيان مكانة واعتبارا ، وهو الذي ظل إلى آخر لحظة على شركه ، وظل يعتبر ما أصبح عليه محمد ﷺ ملكا وليس نبوة قبل أن يصحح له العباس قائلا: إنها النبوة .

وقريش ومنهم بنو أمية وهم تجار مكة وقادة جيشها هم الذين سيشكلون عصبية الدولة الناشئة والتي لم يكن بإمكانها أن تقوم أو تستمر بدونهم ، وهو ما جعل ابن خلدون يصرف حديث الأئمة من قريش إلى أنه وصف لواقع

وتقرير لحقيقة اجتماعية ويدرجه في باب السياسة الشرعية المتغيرة والمراعية للمصلحة .

ونتأمل ذلك في انتفاضة الثقافة الكسروية والقيصرية ، ثقافة الشوكة والغلبة والعصبية على ثقافة الرشد الخليفية كما مورست مع الخلفاء الراشدين . فالانقلاب وقع من القاعدة على القمة ، والانحراف وقع في القاعدة ولم ينزل من القمة كما هي العادة في مجال السياسة ، أي إن الثقافة هي التي انتصرت على السياسة وليس العكس . حدث ذلك قبل أن تقوم الدولة الأموية وما يصفه البعض بـ«الملك العاض» ، ممن يعتبر أن الانقلاب الأموي كان أصل المشكلة أي من السياسة ، والواقع أن جذوره جذور ثقافية .

الثقافة أكثر المجالات استعصاء على الإصلاح وأكثر المجالات مقاومة للتغيير لعدة أسباب منها:

ـ إنها مجال رمزي بامتياز يعبر عن التاريخ وعن الهوية وعن الميراث الاجتماعي للإنسان .

ـ إنها ظاهرة اجتماعية تتميز بخصائص الظاهرة الاجتماعية أي إنها **أولا**: خارجية عن الفرد فهي سابقة له في الوجود ، وهي تشكل شخصيته الجماعية ، **وثانيا**: تتميز بالقهر والضغط الاجتماعيين ، بحيث يصعب على الفرد الخروج عليها (الخروج على العادات والتقاليد والعقاب الاجتماعي الذي يتعرض له الفرد بسبب ذلك) .

ـ الثقافة تتميز في جوانب كبيرة منها بأنها تتغلغل في الجانب العميق من الشخصية أي إنها تتسم بالطابع غير الواعي ، ومن ثم فهي تكيف استجابات

الناس الذين يعيشون داخل المجتمع: إنها تشكل الجانب المشترك من الشخصية ، أو الشخصية الجماعية في الشخصية الفردية .

تبعا لذلك يخطئ من يظن أنه يستطيع أن يحدث ثورة ثقافية بالمعنى الجذري .

ولكن هل يعني هذا استحالة الإصلاح الثقافي؟

ليس الغرض هو الوصول إلى هذه النتيجة ، ولكن الغرض هو التأكيد أن الإصلاح الثقافي يمر أساسا من خلال إعادة بناء نظام جديد للرموز ، وعبر التفكيك التدريجي للرموز السابقة وإعادة بناء وعي ولا وعي جماعيين جديدين ، ونظام قيم جديد ، اعتمادا على مداخل متعددة منها:

ـ إصلاح نظام الفكر بإصلاح مناهجه على اعتبار أن تغيير المنهج وإعادة بنائه هو المدخل إلى إعادة بناء النتائج ، فلا ضبط للأوزان دون إصلاح للميزان ، وإصلاح الآلة مقدم على التفكير في إصلاح ما تنتجه الآلة .

ـ إعادة بناء رموز جديدة وقيم جديدة تتجاوز القيم البالية ولا يعني ذلك دوما اختراع قيم جديدة أو استيرادها بل إعادة تفعيل القيم الإيجابية التي لدى الأمة وتجاوز القيم السلبية ، ولا ينفي ذلك الاستفادة من القيم الإيجابية التي أنتجتها الإنسانية انطلاقا من قاعدة التعارف المنصوص عليها في القرآن الكريم التي تعني من بين ما تعني تبادل المعروف والمنافع .

ـ تقديم نماذج بشرية حية تترجم الرموز المذكورة في سلوك يومي حي تبعث على التأسي والمتابعة ، انطلاقا من دور الأثر غير المباشر في تمرير القيم والرموز الثقافية ، ودور العوامل الوجدانية وجانب اللا وعي في تشكيل نظام جديد للثقافة ، وفي تفكيك المركبات الثقافية الانحطاطية المترسبة عبر الأجيال ،

وتجاوز الممانعات الثقافية التي هي الأصل في مقاومة الثقافة للتغيير .

ـ الأهمية البالغة لعنصر التربية في إصلاح نظام الثقافة ، أي في المحافظة على الفطرة وغرس القيم السليمة قبل أن تفسدها وتتسرب إليها القيم الثقافية الاجتماعية السلبية . فالتربية رهان على إصلاح بعيد المدى لنظام الثقافة ، رهان على التغيير في أمد جيل أو عدة أجيال .

ـ العلاج السلوكي أو المقاربة السلوكية في تغيير الثقافة: ونقصد بذلك تغيير المنظومات القانونية والسعي إلى بناء فضاءات جديدة يتم فيها تهذيب السلوك وتصريفه ضمن قوالب مؤسساتية وقانونية تروضه تدريجيا على تجاوز الاستجابات الاجتماعية المكتسبة عبر الأجيال وبناء استجابات جديدة ، قد تنشئ مع الزمن قيما ثقافية جديدة . لكن اثر هذه المقاربة يبقى محدودا ما لم تتحرك من داخل وعي الإنسان أو لا وعيه محفزات جديدة لاعتناق قيم جديدة وثقافة جديدة .

– الأهمية القصوى لعنصر التكوين والتدريب ، أي إعادة بناء مهارات وسلوكات وكفايات جديدة ، ومن ثم بناء منظومات ثقافية واستجابات جماعية جديدة .

*****

تدبير التحولات الثقافية

أبرزنا فيما سبق أن مفهوم الثورة الثقافية من أكثر المفاهيم تعسفا وتناقضا على اعتبار أن الثقافة هي المجال الذي يأبى أن يخضع لمفهوم القطائع الحادة والانقلابات الفجائية ، وأن مجال الثقافة من أشد المجالات استعصاء على التغيير ، وأنه إن كان هناك من ثائر فهو الثقافة ذاتها .

حاولت الدولة الماركسية الستالينية إبادة ثقافة شعوب بأكملها ، وحاولت إبادة الأديان وفرض الإلحاد عقيدة رسمية للدولة وفشلت في ذلك ، وحاولت الثورة الصينية بالعنف فرض ثورة ثقافية حمراء وفشلت في ذلك ، وتحاول الولايات المتحدة الأمريكية اليوم فرض نموذجها الثقافي بكل ما أوتيت من سطوة عسكرية واقتصادية وتكنولوجية ، وتفوق في مجال الإنتاج السينمائي دون أن يتأتى لها ذلك . وهذه أمثلة من عشرات التجارب التاريخية التي تكشف أن تدبير التحولات الثقافية يحتاج إلى مقاربة شمولية ، مدخلها الأساس الرهان على الإنسان ، وشرطها الأول الوعي أولا بالطابع المركب لمفهوم الثقافة ، وبعدها التاريخي الاجتماعي ، وبعدها اللاواعي الذي يشكل الجزء الأكبر من مكوناتها . فالتعبيرات الثقافية الواعية أو الثقافة العالمة ما هي إلا الجزء الظاهر من مكونات الثقافة ، مع ملاحظة أنه إذا كان هذا الوصف مأخوذا عن سيجموند فرويد ، فإننا لا نتبنى تصوره لمفهوم الثقافة أي إننا لا نعتبر الثقافة تصعيدا واعيا لما هو لا شعوري بل نحن نقول : إنها تعبير لا واعي عما هو لا شعوري ، وأن الوعي بالطابع اللاواعي يقتضي إعمال النقد العقلي أو ما نصطلح عليه بالنقد الثقافي .

حين نرجع إلى القرآن الكريم والسيرة النبوية نجد أن آلية النقد الثقافي آلية حاضرة بقوة . القرآن الكريم يحمل بقوة على التقليد الأعمى والتمسك غير الواعي بما كان عليه الآباء والأجداد ويدعو إلى الانسلاخ من الوعي الجمعي إلى الانخراط في لحظات من التفكر والتأمل والمراجعة العقلية للمسلمات الاجتماعية .

ومعنى النقد الثقافي في واقعنا هو أن يكون رواد التغيير في المجتمعات على مسافة من الممارسات الثقافية السائدة ، وعلى استعداد لتحمل كل تبعات النقد والمخالفة للمألوف في الأمور الجوهرية والقضايا المركزية التي لا تتغير إلا من خلال جرعات قوية وغير موارية من المصارحة والقوة في التشنيع على الممارسات والسلوكات الثقافية المكبلة لحركة التقدم . وهو أحد الأدوار التي ينبغي أن يقوم بها المثقفون الذين ينبغي أن لا يدخلوا في حساباتهم موازين السياسة ومناوراتها .

والمشكلة اليوم هي أن كثيرا من المفكرين والمثقفين والحركات ذات الطبيعة الثقافية في جوهرها ورسالتها تكون ميالة إلى المهادنة والتواطؤ مع الثقافة السائدة ، والمنطق السائد خشية تضييع شعبيتها وفقدان مواقعها . ويمكن في هذا الصدد أن نضرب على ذلك مثلا قضية مشاركة المرأة وحقوقها السياسية والاجتماعية المقررة بوضوح في القرآن والسنة والتجربة النبوية ، بينما نجد بعض الحركات الإسلامية الخليجية تتردد في تبني هذا الموقف الأصلي وتهادن الموقف الاجتماعي وتساكنه وأحيانا من أجل اعتبارات سياسية ظرفية .

أما المدخل الثاني لتدبير التحول الثقافي فهو مدخل التزكية (ويزكيهم) أي

إعادة بناء وإصلاح منظومة التفكير والسلوك من منطلق عقدي ديني ، فالدين هو أكبر قوة روحية قادرة على إعادة بناء وصياغة شخصية الإنسان وإحداث أكبر قدر من التغيير في سلوكه الثقافي ، الدين لأنه يخاطب الإنسان في كليته عقلا وروحا ووجدانا وسلوكا (يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم) .

أما المدخل الثالث لتدبير التحول الثقافي فهو المدخل القانوني التشريعي . لكن القانون لا يمكن أن يكون المدخل الوحيد ، وإنما هو آلية لخلق بيئة عامة تمكن من اشتراط السلوك الثقافي . القانون يهيئ الظروف المساعدة على ظهور استجابات اجتماعية موحدة تنتهي بأن تتحول إلى سلوك ثقافي . ولهذا نلاحظ أن سلوك الإنسان العربي في العلاقة مثلا باحترام إشارات المرور أو انتظار الدور في الطابور يتغير حينما يوجد في دولة أوروبية ، بينما نجد نفس الشخص بمجرد ما أن يضع قدميه في موطنه الأصلي حتى يعود إلى استجاباته الجماعية المكتسبة . القانون في أوروبا ، إضافة إلى المناخ الثقافي والاجتماعي العام يشرط سلوك الإنسان العربي رغم أن لا شعوره الثقافي مشبع باستجابات تميل بطريقة تلقائية إلى عدم اعتبار القانون .

أما المدخل الرابع فهو تدبير التحول الثقافي من خلال اعتماد مختلف آليات الأثر غير المباشر . ونقصد بالأثر غير المباشر كل التحولات التي تحدث في السلوك من خلال التأثر بنماذج سلوكية حية (دور النخبة الصادقة الملتزمة) وقد كان رسول الله ﷺ قرآنا يمشي في الأرض ، ولذلك كان تأثيره من خلال سلوكه أبلغ من تأثيره ببلاغه ومواعظه ، وكذلك كان شأن الصحابة والتابعين والفاتحين ، وتشير كثير من الأدلة في السيرة وفي التاريخ على دور هذا الأثر غير المباشر .

أما على مستوى وسائل ووسائط التأثير في التحول الثقافي فيمكن الإشارة هنا إلى كل الوسائط التي تعتمد الأثر غير المباشر مثل الإعلام والفن والآداب بمختلف أجناسها وأشكالها ، فهذه كلها تقوم أساسا على إعادة صياغة الوجدان وصياغة القيم والسلوك من خلال الأثر غير المباشر وتعتمد مخاطبة لا شعور ووجدان الإنسان أكثر من مخاطبة عقله ووعيه .

ونحن حين نرجع إلى البيان القرآني سنجد أنه بالإضافة إلى مخاطبة العقل ، فإنه خاطب الإنسان بمداخله المختلفة روحية وجمالية وسلوكية وتشريعية ، ولذلك كانت الرسالة المحمدية من أكبر الدعوات التي استطاعت تحقيق أكبر تحول ثقافي في التاريخ .

تبقى هناك ملاحظة منهجية في تدبير التحول الثقافي ، وتتعلق بأن التحول الثقافي لا يقوم على مفهوم القطيعة بل يقوم على التراكم والاستمرارية . وهذه القاعدة تقتضي اعتبار ثلاثة أمور: استيعاب الثقافات القائمة والمحافظة على جوانبها الإيجابية انطلاقا من مبدأ التعارف ، فحضارة الإسلام لم تقم على مفهوم الإبادة الحضارية والثقافية وإنما على مبدأ الاستيعاب الإيجابي ومن هنا تكيف الإسلام مع أوضاع ثقافية متعددة فيما لا يتعارض مع أصوله ومبادئه الكلية ، ومبدأ التدرج في تغيير العادات الثقافية المستحكمة . يشهد على ذلك قوله ﷺ : «**لولا أن قومك حديثو عهد بشرك لبنيت الكعبة على قواعد إبراهيم**» [1] . ولا تعارض بين مبدأ النقد الثقافي لأنه موجه إلى خلخلة الموروثات على مستوى الفكر والوجدان ، وبين مبدأ التدرج في تدبير التحولات الثقافية لأنه مراعاة للمآلات وليس مهادنة للثقافات الميتة أو

(١) رواه مالك في موطئه والبخاري والنسائي والبيهقي.

القاتلة ، أما المسألة الثانية فتقوم على مبدأ التجديد الثقافي المتواصل أخذا بعين الاعتبار إمكان انتفاضة الثقافات السابقة على الأوضاع الثقافية الجديدة . والمسألة الثالثة الرهان على المستقبل من خلال التربية والتنشئة الاجتماعية في ظل مبادئ الإسلام وقيمه الثقافية وفي ظل المؤسسات الاجتماعية التي تم بناؤها انطلاقا من مبادئه وأحكامه .

*****

في التدبير السياسي للإصلاح الثقافي

هناك جانب أساسي ينبغي الانتباه إليه في مسألة التحولات الثقافية وتحولات القيم ، ويتعلق الأمر بالتطورات التي تعرفها نظم الحياة على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والسياسي وتأثيرها في الجانب الثقافي والقيمي .

من هذه الزاوية ينبغي النظر إلى مسألة تدافع القيم من الزاوية السياسية أي من زاوية التدخل السياسي في تهميش قيم معينة ، ونحن لا نقصد هنا بالجانب السياسي القرار السياسي المباشر فقط وإنما كل عمل يؤثر أو يؤدي إلى إنتاج الشروط المؤسساتية والقانونية والاجتماعية والثقافية التي تحقق المناعة لمنظومة القيم وتعطيها قدرة على التكيف والتجدد المستمر في إطار ثوابت المرجعية العامة لمجتمعاتنا .

وعلى الرغم من أن مجال القيم هو مجال ينتمي إلى مجال الثقافة والحضارة ومن ثم إلى المجال الرمزي والروحي الخاص بالمجتمعات ، وأن هذا المجال هو من أكثر المجالات استعصاء على التغيير ، إلا أنه من المؤكد أن التحولات السياسية الكبري والسياسات العمومية التي تشتغل على المدى الطويل والقرارات السياسية وشبكاتها المعقدة ولوبياتها الفاعلة تنتهي مع الزمن إلى استحداث أشكال جديدة من السلوك ومنظومات ثقافية جديدة .

وهكذا فإن الاختراق الثقافي لمنظومة قيم غازية لمنظومة مغزوة ليس فقط نتيجة الأعمال الثقافية أو التبشيرية من قبل الأجهزة الإعلامية والمؤسسات

التعليمية وغيرها من أدوات التنشئة الاجتماعية ، بل هي أيضا نتاج تغييرات عميقة تنتج عن أنماط معاشية واقتصادية جديدة تفرض منظومات قيمية جديدة أو على الأقل تفرض تأقلمات على المنظومات السائدة كي تتمكن من أن تتعايش مع الواقع الجديد .

لا يستطيع أحد اليوم أن ينكر أن نمط الإنتاج «الرأسمالي» الذي بدأ يشق طريقه إلى المغرب مع دخول الاستعمار الفرنسي ، وما فرضه من تحولات في نمط العلاقات الإنتاجية ونظام إنتاج الثروة وتداولها ، وما خلقه من مستفيدين جدد ووسطاء ومن إرباك في مجمل المنظومة السوسيو اقتصادية ، قد انعكس بدوره على منظومة القيم . لا نقول إنه دمر تلك المنظومة كلية بل إنه أدخلها في مسار من التأزم ، وعلى الأقل فرض عليها ضرورة المراجعة والتكيف .

الاستعمار أدخل معه على مستوى نظام التمويل مثلا المنظومة البنكية الربوية وهو ما لم يكن معروفا في المجتمعات الإسلامية التقليدية . الاستعمار والتحولات الاقتصادية والاجتماعية فرض تحولات ديمغرافية وسكانية ، وفرض ظهور المدينة الكوسموبوليتية أي القائمة على تجمعات سكنية كبيرة ، تستهوي أهل الريف والقرى وتسهم في تفكيك منظومة الإنتاج الرعوية والزراعية . وتلك التحولات فرضت في البداية ظهور تجمعات من العمال أو التجار الصغار الذين يعيشون بعيدا عن أسرهم وعن المراقبة الاجتماعية (زوفري بالدارجة) التي يبدو أنها مشتقة من الكلمة الفرنسية (ليزوفرييي) بما تحمله تلك الكلمة من إيحاءات تنم عن سلوكات أخلاقية شاذة عن التعابير

الاجتماعية السائدة .

التحولات الاقتصادية والاجتماعية المتلاحقة التي عرفها المغرب بعد ذلك من مجتمع تقليدي إلى مجتمع مركب تتعايش فيه مظاهر الحداثة مع مظاهر التقليد ، وأتكلم هنا على المستوى الاقتصادي والتنموي الصرف كما يظهر ذلك في الفوارق بين البادية والمدينة ، وداخل المدينة حيث يعيش مجتمعان أو مجتمعات داخل سقف واحد ، أنتجت ظواهر جديدة لم تكن معروفة في المجتمعات التقليدية ومنها على سبيل المثال لا الحصر: انحصار الأسرة الممتدة وظهور الأسرة الخلوية ودور الأسرة الممتدة في مجال التنشئة الاجتماعية وتوريث القيم ونقلها وممارسة الرقابة الاجتماعية ، امتداد العمر الافتراضي للاندماج في الحياة الاقتصادية والاجتماعية بسبب طول الدراسة الجامعية التي قد تمتد بالشاب أو الشابة أحيانا إلى مشارف الثلاثينيات ، ثقل تكاليف الحياة والعزوف عن الزواج ، نمط معماري غير محتشم بالمقارنة مع المعمار التقليدي ، المدينة الكوسموبوليتية في مقابل المدينة المحدودة بالأسوار والذي يكاد أفرادها أن يعرفوا بعضهم ودور ذلك في مجال الرقابة الأخلاقية الجماعية .

إن أي إغفال لهذه العوامل الماكرو ـ سياسية ، والماكرو ـ اجتماعية والتفكير في قضية تحولات منظومة القيم وتدافع القيم بمنظور أخلاقي يكتفي بترديد نظرية المؤامرة لم يعد مجديا من أجل أن تكون لنا المبادرة في بناء منظومة قيم تتناسب مع خصوصيات مجتمعنا وتراعي التحولات المشار إليها .

وبهذا المعنى فإن مسألة تدافع القيم لا تصبح مسؤولية الواعظ الديني المكتفي بخطاب النهي عن المنكر ، بل تصبح قضية مختلف الفعاليات الدينية

والمدنية والسياسية والنسائية ، كما تصبح مجالا لتدخل الفاعلين الاقتصاديين والاجتماعيين ، وأهل الثقافة والفن الذين ينبغي أن ينبروا جميعا من أجل إطلاق ديناميات واعية للتكيف مع الحداثة المفروضة ، التكيف القائم على ثنائية الاستيعاب والتلاؤم الواعيين والفاعلين أي القائمين على أساس من الذكاء الحضاري وليس فقط على أساس من الخضوع للأمر الواقع .

يزيد من وجاهة هذا الاختيار الإرادي في مجال إعادة بناء منظومة القيم في إطار المرجعية الإسلامية من جهة وفي إطار من التجديد والملاءمة مع متغيرات العصر من جهة أخرى ، أن مجال القيم باعتباره جزءا أساسيا في المنظومة الثقافية هو مجال يتمتع بالاستقلال النسبي تجاه الإكراهات الخارجية . فنحن نلاحظ اليوم أشكالا من المقاومة الثقافية والقيمية ما فتئت المجتمعات الإسلامية المعاصرة تمارسها تجاه الغزو الثقافي والاستباحة القيمية . يشهد على ذلك مثلا المحافظة على الشعائر الدينية من قبل شباب تجدهم يرتبون شعورهم على أحدث الصيحات ويستمعون إلى آخر الأنماط الموسيقية الحداثية ثم يهرعون إلى صلاة التروايح الطويلة والخشوع والبكاء وهم يستمعون لتراتيل آي القرآن . وفي هذا الإطار يمكن للفنانين المسلمين أن يبدعوا من الغناء والموسيقى والمسرح وفنون الدراما ما يجمع بين الاستجابة لمثل هذه الميول دون إخلال بثوابت الدين وبمنظومة القيم .

يشهد على ذلك تلك الرغبة الجامحة من فتيات مسلمات في أن يكنَّ محجبات وأن يظهرن بمظهر يستجيب لحاجة فطرية في الزينة ، رغبة قد تفهم من البعض على أنها احتجاب منافق ، وقد تنعت بأنها حجاب متبرج ، والواقع أنها

تنم في العمق عن مقاومة ثقافية للنمط الثقافي الغربي المهيمن القائم على التعرية وتشييء وتسليع واستباحة الجسد استغلالا لرغبة أنثوية فطرية في التمتع بثناء النظرة وثناء الكلمة ، كما تنم عن هذه المرحلة الحرجة من التدافع بين منظومتين قيميتين الأولى مستقوية بترسانة من الأوضاع والوسائل التكنولوجية والمؤسساتية والإعلامية الحداثية الرهيبة والثانية مستقوية فقط بقوة الفطرة وأصالة المرجعية وثباتها .

وفي هذه المجالات كلها فرص للبناء المؤسساتي والإبداع الفني والتواصل الإعلامي وإنتاج اللباس الجميل الذي يراعي مقومات الفطرة إلى العفة والظهور بمظهر حسن في نفس الوقت ، مجالات حقيقية للتدافع القيمي . وهي مجالات ذات صلة بالعمل السياسي بمعناه العام أي بإنتاج الشروط المؤسساتية والقانونية لتجديد وحماية منظومة القيم من الاختراق .

*****

بين الإصلاح الثقافي والإصلاح السياسي

هل يمكن أن يصبح الإصلاح مستحيلا؟ قد يبدو هذا السؤال مستغربا خاصة حين يصدر من فرد أو مجموعة أو حركة أو حزب يؤمن بالمشاركة وهو منخرط فيها إلى النخاع . وقد يجد فيه بعض العدميين أو الرافضين أو الانتظاريين دليلا على تزكية مواقفهم وتوجهاتهم الرافضة أو الانتظارية أو العدمية؟

نقول بدءا ونقرر أن الوصول إلى وضع تاريخي يصبح فيه الإصلاح مستحيلا وارد جدا ، وذلك حين يتغلغل الفساد وتتعقد شبكاته وتشتد مقاومته للتغيير ، وتصبح له آليات بنيوية تعمل على إعادة إنتاجه واستدامته . وقد يصل الأمر إلى درجة يحتاج فيها إلى دورة تاريخية جديدة وشروط جديدة وجيل جديد ، أو إلى تدخل غيبي كما كان يحدث في عصر الرسالات والنبوات .

والقرآن يقدم لنا عدة نماذج حسمت فيها المعركة بتدخلات غيبية في نهاية المطاف كما نجد ذلك في عدد من تجارب الأنبياء . والمثال الصارخ على ذلك تجربة سيدنا نوح عليه السلام الذي لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما ، لم يترك وسيلة من وسائل الدعوة ومدخلا من مداخل الإقناع العقلي أو الاستمالة الوجدانية إلا سلكه ، ورغم ذلك أصروا على عنادهم وضلالهم ولم يؤمن معه إلا قليل ، كما جاء في سورة نوح : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّي

أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ [نوح:٥ـ ٩] ، فلم يجد بدا في النهاية ـ بعد يأسه من صلاحهم أو إصلاحهم ـ من أن يتوجه إلى الله بالدعاء قائلا: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح:٢٦، ٢٧] .

فكان الطوفان بعد ذلك ، وهو إشارة إلى استئناف حياة جديدة في مجتمع جديد ، بمقومات جديدة بعد استحالة إصلاح حالة مستعصية وميؤوس من صلاحها أو إصلاحها .

وحين نقرر هذا الاحتمال فإننا إنما نطرحه ليكون واردا في نظر وتقدير رواد الإصلاح ودعاته ، وكي نقرر من جهة ثانية أن المطلوب منهم ليس دوما هو الانتصار النهائي في معارك مجابهة الفساد ، وإنما أن يبقوا صامدين وشاهدين أي أن لا يتحولوا إلى جزء منه أو أن يكونوا أحد أركانه أو يندرجوا ضمن ثقافته .

يحدثنا القرآن عن عدد كبير من التجارب التاريخية التي قتل فيها أنبياء ، لم يستسلم فيها أصحابهم وحواريوهم وأتباعهم ولم يهنوا ولم يستكينوا . يحدثنا عن ذلك وهو يعرض فرضية إمكانية قتل أو موت رسول الله ﷺ في أي وقت من الأوقات .

ولكن استئصال صاحب الرسالة وأنصارها ، إن كان يشير إلى إمكانية انتصار الفساد والمفسدين في مرحلة من المراحل ، لا يعني الهزيمة النهائية في مواجهة الفساد : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ

عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٤] ، لذلك فإن إقرار إمكانية تعذر الإصلاح أو استحالته في مرحلة معينة قد تطول أو تقصر لا يفضي ضرورة إلى الانسحاب من الساحة ، أو ركوب المراكب السهلة للعدمية أو الرفض أو الانتظارية . فهذه المواقف تتحول إلى جزء لا يتجزأ من منظومة الفساد ، بل إن القرآن يبين أن من المشمولين بالعذاب أو الهلاك المترتبين عن الفساد ـ سواء كانا غيبيين أو كونيين ـ المنتظرين والساكتين الرافعين أيديهم من القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أو الذين لا يراعون أبجديات فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فهاهو الحق سبحانه وتعالى يقرر أن في قضية أصحاب السبت إهلاك الذين تركوا واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٦٤ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ١٦٥ فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [الأعراف:١٦٤ـ١٦٦] .

ويقول في موقع آخر : ﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴾ [هود:١١٦] .

وفي الحديث عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ < أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ

وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَـذِهِ وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا» ، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ قَالَ: «نَعَمْ ، إِذَا كَثُرَ الْخُبَثُ» (١) .

وفي موقف الانسحاب من مواجهة المنكر نجد قصة يونس عليه السلام الذي ذهب مغاضبا فالتقمه الحوت وهو مليم وذلك في قوله تعالى مثلا : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٧] .

واليوم تظهر من حين لآخر مؤشرات تشير إلى استحكام وطأة الفساد وتجذره في واقعنا . الفساد اليوم قد تحول إلى واقع بنيوي ، ولم يعد قضية مرتبطة بالقرار السياسي أو الإرادة السياسية فحسب ، فقد تتوفر الإرادة السياسية للإصلاح أو على الأقل قد يعبر عنها رسميا بكل وضوح ، لكن الفساد ولوبياته المستحكمة والمستفيدة قد تفرغ في الواقع تلك الإرادة وما قد ينجم عنها من إجراءات وقرارات وسياسات من محتواها . الفساد اليوم قد تحول إلى ظاهرة مركبة تخترق المجتمع طولا وعرضا . الفساد أصبح له في بلداننا اليوم أركان وسقوف ، كما أصبح له نظامه الذي يعيد إنتاجه ويمدد له في الحياة ، وآليات تصديه لمحاولات الإصلاح وسياسات الإصلاح وقرارات الإصلاح .

الفساد اليوم لم يعد ظاهرة أخلاقية فردية معزولة وإنما أصبح صناعة لها لوبياتها التي تعيد إنتاجها وتمكن لها ، وشبكاته الممتدة عموديا وأفقيا والتي

(١) رواه البخاري ومسلم.

يسند بعضها بعضا ويقوي بعضها البعض الآخر . والأخطر من ذلك أن الفساد قد أصبحت له آلياته وقدرته على نشر ثقافة الرشوة وإعادة إنتاج القابلية لها حتى إنه قد قل من ينجو من شرها وشررها .

وحين يصل الفساد إلى هذه المرحلة المتقدمة نكون قد بدأنا في الدخول إلى مرحلة استعصائه على العلاج ، إلى درجة أنه يصبح متمردا حتى على القرار السياسي ومستخفا به بل مستعدا لحماية نفسه ولو باللجوء إلى العنف .

ومهما يكن من أمر فإن هذه المرحلة المتقدمة من الفساد تبقى على مسؤولية حركات الإصلاح ورجال الإصلاح ، وتكمن هذه المسؤولية في إقامة الشهادة وإعطاء الدليل على أن الإصلاح ممكن وأنه مهما تكون وطأة الفساد ، فإنه يظل هناك رجال رساليون لا يبدلون ولا يغيرون ولا يهنون ولا يحزنون .

المشكلة الحقيقية والقضية الأخطر هي حين يتحول أهل الصلاح والإصلاح تدريجيا إلى جزء من منظومة الفساد: إما بالاستدراج لأن المفسد لا يطمئن له جفن مادام هناك رجل واحد ظاهر يقيم الحجة على أنه يمكن تدبير الشأن العام والمشاركة في مجالات السياسة والاجتماع والانخراط فيها إلى النخاع مع التزام المبادئ والمحافظة على القيم ، وإما بالانسحاب والصمت أو الرفض واليأس .

وهذا يعني أن مقاومة الفساد تبدأ من غرس ثقافة الإصلاح أي بغرس الإيمان بأن الإصلاح ممكن ، وأن معركته تبدأ في ذواتنا وأنفسنا أي من تحصينها ضد الفساد ومن الانخراط في شبكته وشباكه ومنظومته . ومرة أخرى تتأكد أولوية الإصلاح الثقافي وإنه مدخل من مداخل الإصلاح .

النخبة والإصلاح الثقافي :

قد يظن البعض أننا ونحن نطرح دور النخبة في الإصلاح الثقافي نريد أن نبرز دورها باعتبار ما تمتكله من قدرات معرفية وفكرية ومعطيات علمية لم تتأت لـ«عامة» الناس .

لكن بالرجوع إلى تعريفنا للثقافة من حيث أنها تعبير عن الشخصية الجماعية المشتركة التي تحدد الاستجابات الجماعية ، والتي تشتغل فينا غالبا على مستوى اللاوعي ، سيتبين أن الدور الذي نتحدث عنه لا يُقصد به دورها في التعليم ونشر المعرفة وفي التثقيف ، وإن كان هذا الدور ضروريا وأساسيا .

علاوة على ذلك فمفهوم النخبة يتعدى النخبة المثقفة كي يشمل غيرها من النخب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإعلامية وأعيان المجتمع ممن لهم مركز وسلطة مادية أو معنوية .

إن هؤلاء بقدر تأثيرهم من خلال ما ينشرون من معارف وأفكار لتنوير المجتمع وإصلاحه ، فإنهم يرسلون أيضا رسائل سلوكية أكثر تأثيرا وأقرب إلى الاستقبال من قبل عموم المجتمع إيجابا أو سلبا .

نحن هنا أمام ما سميناه فيما سبق بدور التأثير غير المباشر في تغيير السلوكات والمواقف الثقافية . فموقف أصيل صادق ملموس قد يكون له من الأثر والتأثير ما لا تستطيع إحداثه آلاف المحاضرات والمقالات ، و"الناس على دين ملوكهم» كما يقال أي على نهج قياداتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والثقافية والقيم التي يصدرون عنها في سلوكهم ومواقفهم العملية .

وبالرجوع إلى السيرة النبوية سنجد أن نجاح صاحب الدعوة لم يكن فقط

بعظمة الرسالة التي جاء مبشرا بها ، وبربانية مصدرها ، بل كان أيضا بعظمة أخلاق الرسول الكريم كما جاءت بذلك شهادة القرآن نفسه حيث قال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤] .

لقد أبى الحق سبحانه إلا أن يكون رسول الإسلام رجلا من قريش يعرفونه حق المعرفة ، وكان من أكبر ما عرف به الصدق والأمانة حتى صار يلقب فيهم: بـ«الأمين» ، بل من كبير المفارقات أن آخر شيء قام به هو الوصية بودائعهم وأماناتهم قبل هجرته بقليل ، أي أنه في مقابل المؤامرة القرشية التي بيتت بليل ، والتي كانت تقضي تفاصيلها بتفريق دمه بين القبائل ، كان هو في المقابل حريصا على أداء الأمانة والوفاء بمقتضياتها حتى وهو معرض لمؤامرة خبيثة .

وكان صحابته ﷺ يلمسون خصاله ويدعون إلى رسالة الإسلام مستندين إلى تلك الخصال والأخلاق ، فهذا جعفر بن أبي طالب في منافحته عن المسلمين المهاجرين إلى الحبشة أمام النجاشي ـ وكانت قريش قد بعثت له بالهدايا تريد منه تسليمهم إليها ـ يؤكد في خطبته على خصال الرسول الله ﷺ في بيان حقيقة الدعوة الإسلامية حيث يقول: « أيها الملك ، كنا أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش . . فبعث الله إلينا رسولًا نعرف حسبه ونسبه ، وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا لوحدانية الله ـ تعالى ـ ، وألا نشرك به شيئًا في العبادة ، وأمرنا بصدق الحديث ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم» [(١)] .

(١) رواه أحمد عن أم سلمة.

وكان النبي ﷺ في كثير من المواقف يتخذ من أسلوب القدوة والمسارعة إلى أن يكون أول المطبقين لما يدعو له ، أسلوبا في الدعوة كما ورد عنه ﷺ في نهي الرجال عن لبس الذهب .

فعَنْ ابْنِ عُمَرَ { قَالَ : اتَّخَذَ النَّبِيُّ ﷺ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فَاتَّخَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**إِنِّي اتَّخَذْتُ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ**» فَنَبَذَهُ وَقَالَ : «**إِنِّي لَنْ أَلْبَسَهُ أَبَدًا**» فَنَبَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ [1] .

قال العلماء : «فدل ذلك على أن الفعل أبلغ من القول» .

وفي التاريخ الإسلامي القريب والبعيد عدة شواهد على نفس المعنى منها ما يروى عن الأمام أحمد في فتنة خلق القرآن من إيثاره للتعذيب على أن يجيب المأمون إلى ما حاول أن يفرضه بقوة السلطان من مذهب عقدي .

يروى أن أبا جعفر الأنباري صاحب الإمام أحمد عندما أخبر بحمل الإمام أحمد للمأمون في الأيام الأولى للفتنة؛ عبَر الفرات إليه فإذا هو جالس في الخان ، فسلم عليه ، قال: يا هذا أنت اليوم رأس والناس يقتدون بك ، فوالله لئن أجبت إلى خلق القرآن ليجيبن بإجابتك خلق من خلق الله ، وإن أنت لم تجب ليمتنعن خلق من الناس كثير ، ومع هذا فإن الرجل - يعني المأمون - إن لم يقتلك فأنت تموت ، ولابد من الموت فاتق الله ولا تجبهم إلى شيء . فجعل أحمد يبكي ويقول: ما قلت؟ فأعاد عليه فجعل يقول: ما شاء الله ، ما شاء الله .

وتمر الأيام عصيبة على الإمام أحمد ، ويمتحن فيها أشد الامتحان ولم ينس نصيحة الأنباري ، فها هو المروزي أحد أصحابه يدخل عليه أيام المحنة ويقول

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي ومالك وأحمد.

له: «يا أستاذ قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ [النساء:٢٩] ، فقال أحمد : يا مروزي اخرج ، انظر أيّ شيء ترى !! قال: فخرجت على رحبة دار الخليفة فرأيت خلقًا من الناس لا يحصي عددهم إلا الله والصحف في أيديهم والأقلام والمحابر في أذرعتهم ، فقال لهم المروزي: أي شيء تعملون؟ فقالوا : ننظر ما يقول أحمد فنكتبه ، قال المروزي: مكانكم . فدخل إلى أحمد بن حنبل فقال له : رأيت قومًا بأيديهم الصحف والأقلام ينتظرون ما تقول فيكتبونه فقال : يا مروزي أضل هؤلاء كلهم !! أقتل نفسي ولا أضل» [(١)] .

وحتى لا نبقى في الأمثلة التاريخية ، وحتى لا يُظن بأن السمو الخلقي مسألة تاريخية متعذرة لم يعد لها مكان في زمننا الحاضر ، نسوق مثالا عشناه قبل أيام ويتمثل في الإنجاز الديمقراطي الكبير الذي عرفه المؤتمر السادس لحزب العدالة والتنمية ، ولا أحب أن أسميه الإنجاز الشوري ، لأن الشورى لم تكن هي مشكلة المسلمين إذ عرفوا على الدوام أشكالا مختلفة من الشورى والمشورة والتشاور ، ولكن المشكلة كانت هي إيجاد آليات للتداول السلمي على السلطة بعيدا عن منطق الشوكة والغلبة ، فكان ما كان من فتن وإراقة وتأول في الدماء كادت أن تتحول إلى قاعدة في أعمال التغيير السياسي التي عرفها التاريخ الإسلامي .

المؤتمر الوطني السادس لحزب العدالة التنمية سيبقى معلمة تاريخية ، ليس فقط لأنه مارس الديمقراطية والاختيار الحر لقيادة الحزب ولكن أيضا لأنه أظهر مستوى عاليا من الأخلاق على مستوى التداول والإقرار بالنتائج التي

(١) جلاء العينين لنعمان الآلوسي ٢٣٦.

أفرزتها صناديق الاقتراع ، مما أقر به القريب والبعيد وسلم به الأصدقاء والخصوم . ولعمري ففي ذلك من الرسائل العملية أكثر من آلاف المقالات والمناظرات التي كتبت أو التي من الممكن أن تكتب حول علاقة الحزب بالديمقراطية . المؤتمر الوطني لم يكتف فقط بإعمال آليات الديمقراطية بل أضاف عليها بعدا جديدا هو البعد الأخلاقي الراقي المتمثل في التداول المسؤول الذي يسعى للوصول إلى الأصوب لا إلى تصفية الحسابات أو التنفيس عن الأحقاد الكامنة .

ما شهد عليه المراقبون في المؤتمر السادس للحزب ليس جديدا على المدرسة الفكرية والتربوية التي انحدَر منها ابن كيران والعثماني ، بل هو ممارسة متأصلة مسبوقة داخل حركة التوحيد والإصلاح حيث تداول على مسؤوليتها بنفس النهج والأسلوب ، أي بالاعتماد على التداول الذي كان يسمى ذات يوم «جرحا وتعديلا» عدة رؤساء . ومن ثم ومن باب رد الفضل إلى أهله وجب تهنئة الحركة لكونها هي التي كونت بنكيران والعثماني وغيرهما على هذه الثقافة ، وهي التي طورت هذه الثقافة التي اصطحبها معهما العثماني وبنكيران .

صحيح إن الحركة قد شقت لنفسها طريقا ينحو منحى يسير في اتجاه مزيد من التركيز على وظائف الدعوة والتربية والتكوين ، ومن التمايز على مستوى الرموز والخطاب ، والتزمت مبدأ وقناعة بالابتعاد عن أي وصاية عن الحزب والعكس صحيح ، وأن الحزب قد خط لنفسه أيضا خطا يتجه أكثر إلى التركيز على العمل السياسي والتمييز بين مجاله وأدواته وخطابه العمل ، ولكن ستظل حركة التوحيد والإصلاح وينبغي أن تبقى خلفية تخليقية ، وإطارا لبناء القيم

الثقافية الإيجابية اللازمة ليس فقط لمناضلي حزب العدالة والتنمية وللعمل السياسي ، ولكن لمجمل الحياة الوطنية بجميع تجلياتها من خلال العمل المتواصل على تربية وتكوين الإنسان الصالح المصلح . وفي ذلك فليتنافس المتنافسون الصادقون .

*****